المحاضره الرابعة (نظم الانتاج الصناعي)

مقدمه :

عرفت المجتمعات الانسانيه منذ الثلث الاخير من القرن الثامن عشر نظام المصنع الحديث كشكل متطور من اشكال التنظيم الصناعي وقد عرف في انجلترا ثم ظهر في بلجيكا ومن بعد ذلك في فرنسا فألمانيا فالولايات المتحدة الامريكيه ثم انتشر بعد ذلك في اغلب دول العالم بدرجات مختلفة وسرعات متباينة .

ولم يكن هذا الشكل من اشكال التنظيم الصناعي اول ما عرفته البشرية فقد عرفت في العصور القديمه والوسطى وبداية العصر الحديث تنظيمات صناعية اخرى تباينت فيما بينها سواء من حيث بنائها او وظائفها او من حيث صلتها بمختلف التنظيمات التي تقوم بالمجتمع .

وقد حاول المفكرون الاجتماعيون وضع تصنيفات لنظم الانتاج الاقتصادي بعامه ولنظم الانتاج الصناعي بخاصة .

فأشار بعضهم الى ان البشرية اجتازت في تطورها الاقتصادي عده مراحل بدأت بمرحله اقتصاد الجمع : حيث كان الافراد يعتمدون على النشاط الزراعي او استئناس الحيوان او يعتمدون على تحويل الانتاج الطبيعي بطرق بسيطة ثم انتقلت الى مرحله الاقتصاد التحويلي المعقد .

من المفكرين من يميز بين خمس مراحل للإنتاج هي :

مرحله الانتاج البدائي – مرحله العبودية (الرق) – مرحله الاقطاع – المرحله الرأسماليه – المرحله الاشتراكية .

اما بالنسبة لنظم الانتاج الصناعي بالذات فقد عرض شنيدر لثلاثة انواع :

بدأها بنظام الطوائف الحرفيه حيث كان العاملون في حرفه واحده ينضوون تحت لواء طائفة لها تنظيمها الداخلي وها وظائفها التي تختلف عن وظيفة النقابه في المجتمع الحديث .

ثم انتقل الى دراسة نظام الوسطاء الذي يعتمد اساسا على الممول الذي يتولى بنفسه شراء المواد الاوليه اللازمة للصناعة ويقوم بتوزيعها على الصناع في منازلهم ثم يجمعها منهم بعد الانتهاء من انتاجها ويتولى توزيعها على صغار التاجر او المستهلكين .

ثم عرض لنظام المصنع الحديث حيث يجتمع العمال في مكان واحد ويستبدلون الادوات بالآلات التي تنتقل ملكيتها الى صاحب العمل دون العمال .

وعرض ميللر وفورم لثلاث مراحل مرت بها نظم الانتاج في الولايات المتحدة وغرب اوربا وهذه المراحل الثلاث هي :

مرحله ما قبل الصناعه .

ثم المرحله الصناعية المبكرة .

ثم مرحله نضوج الصناعه .

وقد اهتم الباحثان في عرضهما لهذه المراحل بإبراز خمسه جوانب مختلفة من جوانب الحياة الاجتماعية :

فالجانب الاول يتعلق بالبناء الاقتصادي .

فالجانب الثاني يتعلق بالقيم التقليديه التي تدعم النسق الاقتصادي وتحافظ على كيان المجتمع .

والجانب الثالث يتعلق بدراسة القوى الاجتماعية التي تعمل على تغيير كل من البناء الاقتصادي والمجتمع .

والجانب الرابع يتعلق بدراسة ردود الافعال بالنسبة لعمليات التغيير .

اما الجانب الخامس والأخير فيتعلق بالتناقضات القيميه والصراعات التنظيميه التي تنشأ في المواقف المتغيره.

وتفيد التصنيفات المختلفة لنظم الانتاج الاقتصادي والصناعي في تحليل التطورات التي مرت بها المجتمعات وفي توضيح وجهه نظر الباحث وفقا للإطار المرجعي الذي يتخذه اساسا للدراسة والتحليل .

قد رأينا ان نعرض في هذا المجال لأربعه نظم انتاجيه :

نظام الصناعه العائليه / نظام الطوائف الحرفيه / نظام الوسطاء / نظام المصنع الحديث .

على ان يشملنا تحليلنا لكل نظام على محاوله التعرف على العوامل والقوى التي كان لها دور في تشكيله ثم عرض لخصائصه البنائيه والوظيفية ثم تحديد للعوامل والظروف التي ساعدت على القضاء عليه .

اولا : نظام الصناعه العائليه :

الصناعه حرفه قديمه جدا ولكنها ظلت معظم عصور التاريخ قليله الاهميه وعلى نطاق متواضع جدا وقد بدأت في القرى حينما شعر الافراد بأنهم في حاجه الى بعض الصناعات الاوليه كالغزل والنسيج وأدوات الزراعه والصيد والسكاكين والاحذيه فكانوا يقومون بصناعه ما يحتاجون اليه في منازلهم معتمدين على ادوات بدائيه تدفعها قوه الانسان او قوه الحيوان .

وكان الهدف الاساسي من الصناعه العائليه هو تحقيق مبدأ الكفاية الذاتيه بمعنى ان الانتاج في تلك المرحله كان يتم بقصد الاستهلاك المباشر او لمقايضته في سوق القرية ذاتها او في القرى المجاوره .

وبمرور الزمن تخصصت كل عائله في صناعه معينه فظهرت عائلات يشتغل كل افرادها بالنجاره او الحداده او صناع معينه وكان افراد العائله جميعا يشتركون في العمل تحت اشراف رب الاسره الذي كان يمارس كافه السلطات ويتمتع بالطاعة والاحترام من جميع الاعضاء .

وكان تقسيم العمل اذا وجد يتم وفقا لاعتبارات بيولوجيه فقط كعامل الجنس او السن فكل من الرجل والمراه يقوم بالأعمال التي تتفق مع قواه الفيزيقيه كذلك الحال بالنسبة للشيوخ والشباب والأطفال .

وفي اوربا عرف نظام الصناعه العائليه منذ العصور القديمه وظل سائدا خلال العصور الوسطى اذ انه بعد قيام النظام الاقطاعي نشأ ما يعرف بنظام الضيعة المغلقه فكانت كل ضيعه تنتج كل ما يلزم لبقائها من مزروعات ومصنوعات وكان بعض سكان الضيعة يتخصصون في الصناعه اليدوية لإنتاج ما يلزم للسيد وحاشيته وكان الصناع يمتلكون ادوات الانتاج ويقومون بالعمل فلم يكن هناك فصل بين العمل وراس المال وكان العمل يعتمد على استخدام نفس الادوات البسيطة التي كانت معروفه منذ العصور القديمه .

ثانيا : نظام الطوائف الحرفيه :

بدأت الطوائف الحرفيه في الظهور في اوربا خلال القرنين التاسع والعاشر وبلغت اوجها في القرن الثالث عشر واستمر بعضها قائما حتى القرن التاسع كما ان بقاياها لا تزال قائمه حتى وقتنا الحاضر .

وقد ارتبط ظهورها بانتعاش المدن القديمه ونشأه المدن الجديدة التي توافد عليها كثير من التجار والحرفيين الهاربين من ضياع الاشراف وقد اشتغل هؤلاء بالتجار والصناعة وأصبحوا يزودون سكان المناطق الريفيه بما يحتاجون اليه من مصنوعات ويحصلون منهم على المنتجات الغذائية والمواد الاوليه اللازمة للصناعة .

وحينما اشتد ظلم الاقطاعين التمس الناس الحماية منهم في تكوين الجماعات والانتماء اليها ولم تكن الطوائف **guilds** إلا واحده من بينها التمس الحرفيوون في تكوينها الحماية وتنظيم الصناعه .

والطائفة في مفهومها العلمي (عبارة عن تنظيم يضم جميع العاملين في حرفه واحده كالنجارين والنساجين والحدادين وغيرهم) وهي بهذا المعنى تختلف عن النقابه العماليه التي ارتبط ظهورها بنظام المصنع الحديث من حيث ان الطائفة تضم اصحاب العمل والعمال على حين ان النقابه وبخاصة في المجتمعات الراسماليه ترعى مصالح العمال وحدهم وتدافع عن قضاياهم وتقف من اصحاب العمل موقفا معارضا لوجود تناقضات اساسيه بين اصحاب العمل والعمال .

ويتركب البناء الاجتماعي الداخلي للطائفه من ثلاثة انواع من الاعضاء وهم :

١- المعلمون .

٢- الصناع .

٣- الصبيان .

فالمعلمون هم الذين يديرون و يتحكمون في نظام الطائفة غير أن علاقتهم بعملية الانتاج تختلف إلى حد كبير عن علاقة المدير أو صاحب المشروع بعملية الانتاج في شكلها الحديث .

فلقد كان المعلم يمتلك محله أو ورشته و يستأجر الصناع الذين يشتغلون معه غير أنه لم يكن بالضرورة مالكاً للأدوات التى يعملون بها إذ كانت في غالب الاحيان ملكاً للصانع يحضرها معه إلى مكان العمل .

يضاف الى ذلك أن المعلم كان يعمل مع الصناع جنباً إلى جنب و كان يفترض فيه أن يكون أكثرهم مهارة واوفرهم خبره و أعظمهم دراية بأصول الحرفة فهو لا يصل الى مركزه ولو من الناحيه النظريه عن طريق استثماره لراس مال معين او بواسطه التعيين وانما يتدر في سلم طويل من الكفاءه والخبره وطوال المران .

اما الصبي فكان يدخل في خدمه المعلم وهو فتى صغير ويلتزم بقضاء فتره تدريبيه التي تتراوح في المعتاد بين ثلاث سنوات وسبع لدى المعلم الى ان يصبح صانعا ماهرا ولم يكن يسمح للصانع بان يترك معلمه الا بعد الحصول على موافقه شيخ الحرفه والا اصبح من العسير عليه الحصول على عمل مناسب .

و كانت العلاقة بين المعلم و الصبى تتضمن حقوقاً وواجبات من كلا الطرفين :

فالمعلم كان يلتزم بتلقين الصبى أصول الحرفة حتى يتمكن في مستقبل حياته من أن يصبح صانعاً أو معلماً صاحب ورشة كما ك ان مسئولاً عن إيوائه و تربيته و تلقينه آداب السلوك مثلما يفعل الأب مع أبنائه تماما .

و كان الصبى من ناحيته يلتزم بجملة واجبات أهمها طاعة المعلم و ضبط النفس و الإخلاص و الأمانة و اتباع السلوك القويم و كان في كثير من الأحيان لا يقدم على أمر هام لم يخصه كالزواج إلا بعد الحصول على موافقة معلمه و هكذا كانت العلاقة بين المعلم و الصبى و علاقة شخصية وثيقة .

و حينما تنتهى فترة التدريب يصبح الصبى عاملاً باليومية و كان يلتزم بقضاء فترة معينة لدى المعلم ليعوضه عما بذله من جهد في تعليمه و تدريبه كما كان في بعض المناطق يعمل لتفرة من الوقت عاملاً متجولاً و ينتقل بين معلمين مختلفين ليكسب خبرات متنوعة و مهارات شتى و كان الأمل الذى يراود الصانع باستمرارهِ و أن يخلف معلمه أو يفتح ورشة خاصة به .

و من الناحية الوظيفية كانت الطائفة تقوم بكثير من الاختصاصات والمهام ، نذكر أهمها فيما يلي :

١- تحديد عدد الافراد الذين يستطيعون ان يزاولوا مهنه معينه والذين في المدينه كما كانت تحدد يكون لهم بالتالي حق فتح ورشه عدد المعلمين والصناع والصبيان الذين يمكن استخدامهم .

٢- تنظيم علاقات العمل بين المعلمين والصناع والصبيان وفض المنازعات التي تنشأ بينهم وكان ذلك يتم عن طريقه مجلس الطائفة الذي يتكون من الناحية النظريه من جميع افراد الطائفة وكان المجلس يجتمع مره كل سنه لوضع القواعد والتعليمات وتعيين الموظفين الذي يشرفون على تنفيذها وكانت تخول لهؤلاء الموظفين سلطه الفصل في المنازعات التي تنشأ بين اعضاء الطائفة .

٣ - تحديد أجور العاملين من أبناء الطائفة .

٤ - تحديد كمية السلع التي يمكن إنتاجها .

٥ - تحديد ما يعرض من السلع في الأسواق .

٦ - تحديد اسعار المنتجات .

٧ - تحديد الأرباح التى يحصل عليها المعلمون .

٨- التحكم في تكنولوجية العمل بمنع إدخال أي تجديدات في وسائل الإنتاج فكان من الممنوع إجراء أي تعديل في أدوات الصناعة او إدخال أي اختراع جديد لتحقيق المساواة بين المنتجين لكى لا يكون لأحدهم امتياز على الاخرين .

و لكى يتحقق إشراف رؤساء هذه الطوائف على الحرفيين بوسيلة فعالة كان معلمو الحرف يعملون في محلاتهم و أبوابها و نوافذها مفتوحة بل و يعملون في بعض الأحيان في الطريق و قد كان لك ل طائفة اختصاصها الذى يجب أن يلتزم به جميع الاعضاء إلى درجة أن صناع الأحذية في فرنسا مثلاً لم يسمح لهم إلا بالقيام بصنع الاحذية الجديدة أما إصلاح الأحذية القديمة و الممزقة فكان ممنوعاً عليهم و لا يقوم به إلا المنتمون لطائفة الإسكافية كما كانت هذه الطوائف تنظم كل ظروف الصناعة تنظيماً دقيقاً محكماً إلى درجة أنها كانت تحدد طول و عرض الأحجار التى تستعمل في بناء المنازل و بهذا أصبحت الطوائف الحرفية تقف عقبة في سبيل التقدم التكنولوجي .

و تشير الدراسة التحليلية للعلاقات الاجتماعية في محيط العمل إلى أن التخصص و تقسيم العمل بالمفهوم الحديث لم يكن معروفاً في نظام الطوائف حيث كان الصانع يقوم بالعملية الإنتاجية بأكملها يضاف إلى ذلك أن أعضاء الحرفة كانوا يستخدمون الأدوات في عملية الإنتاج حيث إن الآلة في شكلها المتطور لم تكن قد عرفت بعد و قد ترتب على هذين العاملين عامل عدم تقسيم العملية الإنتاجية إلى جملة وحدات جزئية و عامل الصناعة اليدوية أن أصبح العمل في الطائفة بعيداً عن التخصص و الرتابة و الآلية .

و قد بدأ نظام الطوائف الحرفية يفقد أهميته في أوروبا خلال الق رن السادس عشر نتيجة لمجموعة من العوامل نذكر أهمها فيما يلي :

١ – بعد أن كانت الطائفة أشبه ما تكون بالعائلة المتكاملة التى يقوم بين أعضائها تآلف و ترابط و انسجام ظهر ت التناقضات الداخلية بين المعلمين و الصناع .

و قد قوى تلك التناقضات و قوى المعلمين في وجه الصناع و اتخاذهم الإجراءات الكفيلة بمنعهم من الترقي في السلم الحرفي فكان ذلك سبباً في تذمر الصناع و انفصال بعضهم عن الطوائف التى ينتمون إليها و قيامهم بالعمل منفردين بعيداً عن رقابة الطائفة و ضوابطها و نتيجة لزيادة حدة الصراع بين المعلمين و الصناع بدأت السلطات المحلية تتدخل في المر لتفصل في المنازعات التى تنشأ بينهم بعد ان كان ذلك من اختصاص مجلس الطائفة .

و قد ادى ذلك إلى إضعاف سلطان الطائفة و فقدانها الكثير من استقلالها.

٢ – لقيت الطوائف كثيراً من المنافسة من جانب بعض الجماعات التى كانت تشتغل بالإنتاج الصناعي كالحرفيين الريفين و رهب ان الأديرة و الصناع المستقلين الذين لا ينتمون لأية طائفة و قد استعانت تلك الجماعات بسلطة الدولة لإضعاف نفوذ الطوائف و الحد من سلطانها و ظهر أثر ذلك فيما اتخذته الدولة و السلطات البلدية من إجراءات للضغط على الطوائف .

و من أهم تلك الإجراءات تخفيض رسوم قبول الصبيان في عداد الصناع و جعل الفصل في المنازعات التى تنشأ بين أعضاء الطائفة من اختصاص السلطة القضائية .

٣ – تجمعت الثروة بمضي الوقت في أيدى معلمين قلائل فاتجهوا إلى الصناع الذين لا ينتمون إلى طوائف معينة ليحققوا مزيداً من الأرباح كما انهم استغلوا نفوذهم في منع الأعضاء المعارضين من التصويت في مجلس الطائفة حتى يتسنى لهم اتخاذ القرارات التى تتمشى م ع صالحهم الخاص وترتب على تكدس الثروة في أيدى أفراد قلائل أن تحولت بعض الطوائف الحرفية إلى طوائف للتجار .

٤ – حينما اتسع نطاق السوق الخارجية زد الطلب على المنتجات الصناعية و أصبح من الضروري الحصول على مواد خام من الخارج .

و لما كانت الطوائف الحرفية بوضعها القائم آنذاك لا تقوى على القيام بهذة المهمة فقد انتهز التجار الفرصة و قاموا بشراء المواد الخام و توزيعها على الصناع في منازلهم ثم جمع الإنتاج و تصريفه في الأسواق و هكذا وضع الأساس لنظام إنتاجي جديد عرف باسم نظام الوسطاء انتقلت فيه السيطرة للممولين الذين أصبحت لهم الكلمة العليا في عمليات الانتاج والتوزيع .

٥- اعتمد الحرفيون في تصريف المنتجات و بيعها في الأسواق الخارجية على التجار الممولين و بعد أن كان الحرفي ينتج لمشترٍ محدد أصبح ينتج لحساب التاجر الذى يتولى تصريف منتجاته و توزيعها في الأسواق الداخلية و الخارجية و بذلك فقد الحرفي استقلاله و أصبح تابعاً للممول الذى زاد نفوذه و قوى مركزه الاقتصادي .

ثالثا : نظام الوسطاء :

ترتب على زيادة نفوذ التجار أن ظهر نظام إنتاجي جديد عرف بنظام الوسطاء و قد أطلقت عليه هذه التسمية حيث كان التجار يتولون بأنفسهم شراء المواد الأولية اللازمة للصناعة و يقومون بتوزيعها على الصناع في منازلهم ثم يجمعونها منهم بعد الانتهاء من انتاجها و يتولون توزيعها على التجار الصغار او المستهلكين .

و عرف أيضا بالنظام المنزلي حيث كان التجار يعتمدون على الصناع الذين يعملون في منازلهم بعيداً عن سيطرة الطائفة و رقابتها أو على الريفين الذين يعيشون في القرى و يقومون إلى جانب عملهم الزراعي بالعم ل في صناعة معينة يمارسونها في منازلهم بالاشتراك مع أفراد أسرهم ليواجهوا نفقات الحياة التى كانت آخذة في الازدياد و بذلك عادت الصناعة إلى المنزل و أصبحت العائلة وحدة الإنتاج الأساسية في المجتمع و لكن في إطار نظام إنتاجي جديد يختلف عن الشكل الأول الذى كان شائعاً في المجتمعات التقليدية .

و قد ظهرت البدايات الأولى لهذا النظام في القرن الثالث عشر في صناعة الصوف في بريطانيا غير أنه بلغ ذروته فيما بين منتصف الق رن الخامس عشر و منتصف القرن الثامن عشر و يعنى ذلك أنه قام إلى جانب كل من النظام الحرفي و نظام المصنع الحديث .

و يرى مؤرخو التاريخ الاقتصادي أن نظام الوسطاء يرتبط في وجوده بطبقة الرأسمالية التجارية التى وجدت عوامل نشأتها في القرنين الخامس عشر و السادس عشر في ثلاث ثورات حقيقية هي الثورة التجارية و الثورة التى حدثت في ميدان الكشوف الجغرافية و الثورة السياسية .

فحينما بدأ الأمن يستتب تدريجياً و بدأت طرق المواصلات تنتشر حقق التجار ثروات ضخمة غيرت من وضعهم الاقتصادي و من حالتهم الاجتماعية و النفسية و ساعد على هذا ظهور فلسفة التجاريين التى حررت الأفراد من عقلية القرون الوسطى و أمدت المجتمع بطريقة تفكير جديدة تسمح بالبحث عن الثروة و مهد هذا التغير لظهور الرأسماليين الذين يبحثون عن أكبر ربح ممكن .

و قد ساعدت على الكشوف الجغرافية التى حدثت في القرنين الخامس عشر و السادس عشر و بخاصة كشف العالم الجديد على فتح أسواق خارجية اتجهت نحوها المنتجات الأوروبية و كان من نتيجة ذلك أن ازداد النشاط التجاري و أخذت الدول الكبرى تتنافس على استعمار المناق الجديدة فأدى ذلك كله إلى تدفق سيل الذهب و الفضة إلى البلاد المستعمرة و ومدار التطور الاقتصادي الذى حدث .

اتساع الأسواق و ارتفاع الأسعار و أصبح التاجر سلطان ذلك المعهد و تشير الدراسة التحليلية لنظام الوسطاء إلى أن ثمة ظروف أ اجتماعية و اقتصادية ساعدت على ازدهار ذلك النظام .

فصناعات تلك المرحلة لم تكن في حاجة إلى مكان فسيح و لا إلى قوة آلية كبيرة فمعظم عمليات الإنتاج كان من الممكن القى ام بها في حجرات صغيرة يضاف إلى ذلك أن ذلك النظام كان يتفق و رغبات العمال في التحرر من القيود التى يفرضها عل يهم أصحاب رءوس الأموال كما أنه يهيئ لزوجات العمال و أولادهم و فرصة الاشتراك في العمل الصناعي و بذلك يدعم الوضع الاقتصادي للأسرة و ترتفع مستويات الدخول الفردية مع الحرص على .

التقاليد الأسرية التى كانت سائدة في تلك الفترة فهو يسهل على المرأة بين وظيفتها الاجتماعية التقليدية وهي رعاية الأسرة و بين الوظيفة الانتظام في العمل دون الخروج إلى الأسواق البعيدة و بذلك يمكنها أن تجمع الاجتماعية المستحدثة و توفق بينهما .

و قد وجد التجار أيضاً أن ذلك النظام أغناهم إلى حين عن تشييد المصانع و صرف النفقات الإدارية و أعفاهم يحقق لهم أرباحاً كبيرة و يعفيهم من التزامات متعددة و تكاليف باهظة فقد من المسئوليات القانونية المتصلة بالتشريعات العمالية و تنظيم بيئة العمل و التهرب من الضرائب المقررة .

يضاف الى ذلك أنهم كانوا يستطيعون ال تحكم شيئاً في كميه الانتاج فإذا قل الطالب على سلعهم أوقفوا العمل دون أن يخسروا شيئا وبدون ان يتحملوا أي نفقات لا تعود عليهم بالفائدة .

و قد حاول الوسطاء أن يحكموا سيطرتهم على الصناع فاتجهوا إلى اغراقهم في الديون حتى يظلوا خاضعين لهم و مضطرين الى تقديم ما يطلب منهم في الوقت الذي يعينه الممول وبالأجر الذي يحدد وبعد ان كان الصانع مالكا لأدوات الإنتاج في ظل النظام الحرفي القديم وجد نفسه في ظل النظام الجديد مضطراً في بعض الاحيان إلى استئجار الأدوات من التاجر نفسه وبهذه الطريقه فقد الصانع حريته واستقلاله وتحول الى مجرد عامل أجير .

و قد أوجد النظام الجديد طبقتين اجتماعيتين ترتبطان معاً بروابط رسمية لها طابع نفعى بحت .

فالتجار لا يعنيهم أن تقوم بينهم و بين المشتغلين لحسابهم روابط شخصية أو علاقات أولية و إنما يهمهم أن يقوم هؤلاء بالإنتاج في أقصر وقت و بأقل أجر و هكذا تحولت العلاقة العائلية التى كانت تسود النظام الحرفي إلى علاقة عقدية ذات طابع رسمي .

و بمرور الوقت وجد الممولون أن نظام الإنتاج بصورته القائمة يضيع عليهم فرصاً كثيرة للكسب بعد أن اتسعت السوق التجارية و زاد الطلب على المنتجات الصناعية كما أنه كان من الصعب عليهم ضمان معدلات ثابتة للإنتاج لانشغال الصناع في أعمال أخرى يضاف إلى ذلك أن الممولين كانوا يقضون وقتاً طويلاً في الانتقال من منزل إلى آخر لتوزيع المواد الخام و جمع المصنوعات و لذا فكروا في نظام جديد يجمع العمال تحت سقف واحد و يجعلهم خاضعين لإشرافهم المباشر فاتجهوا إلى إنشاء المصانع اليدوية الصغيرة و جمعوا فيها العمال و أمدوهم بكل عناصر الانتاج .

و تعتبر الصناعة اليدوية الشكل الأعلى للإنتاج الصناعي في أوروبا منذ منتصف القرن السادس عشر حتى الثلث الاخير من القرن الثامن عشر وهي تمثل مرحلة انتقالية بين الانتاج الحرفي و الصناعة الآلية الكبيرة .

فقد كانت تقترب من الحرفه إذا كان أساسها هو المحركات اليدوية كما كانت تقترب من الصناعة الآلية الرأسمالية باعتبارها شكلا من اشكال الانتاج الكبير القائم على استغلال الاجراء .

و قد ترتب على قيام الصناعة اليدوية :

١- أن أصبحت أدوات الإنتاج ملكاً لصاحب العمل كما أصبح في نفس الوقت مالكاً للسلع المصنوعة التى ينتجها مجموعة من العمال بعد أن كان ينتجها عامل واحد ايام الصناعه الحرفيه .

٢- أدى تقسيم العمل داخل المصنع اليدوي على أن أصبح تدريب العامل الجزئي أسهل من تدريب العامل الكامل و أسرع منه فانخفضت الأجور التى يحصل عليها العمال الجزئيون عما كان يحصل عليه الصانع الكامل من قبل .

٣- كما أدى تقسيم العمل بما خلقة من عمليات لا تحتاج إلى تدريب كبير إلى إدخال قوى جديدة للعمل في الانتاج مما سمح بتشغيل الأطفال في بعض الاعمال .

٤- يضاف إلى ذلك أن تقسيم العمل بالصورة الجديدة أدى إلى فصل العمليات العقلية عن العملى ات اليدوية .

و بذلك أخذت الصناعة اليدوية نصيب العامل بالعجز فبعد أن كان صانع الحرفة اليدوية تنمو لديه الخبرة بأمور العمل و بشئون الإدارة أصبحت هذه الامور من اختصاص أفراد آخرين و قد أمكن بهذا الفصل خلق تعارض بين القائمين بالعمل اليدوي و العمل الفكري .

و قد استمر نظام المصانع اليدوية قائما حتى حدثت الثورة الصناعية الأولى في الثلث الأخير من القرن الثامن عشر و التى بدأت في انجلترا ثم انتشرت منها إلى بقية البلدان الأوروبية و بقية أنحاء العالم و التى ترتب عليها استخدام الآلة في الإنتاج على نطاق واسع .

اسئلة المحاضره الرابعة

السؤال الاول : تحدث / تحدثي بالتفصيل عن نظام الصناعه العائليه كأحد نظم الانتاج الصناعي ؟

الصناعه حرفه قديمه جدا ولكنها ظلت معظم عصور التاريخ قليله الاهمية وعلى نطاق متواضع جدا وقد بدأت في القرى حينما شعر الافراد بأنهم في حاجه الى بعض الصناعات الاوليه كالغزل والنسيج وأدوات الزراعه والصيد والسكاكين والأحذية فكانوا يقومون بصناعه ما يحتاجون اليه في منازلهم معتمدين على ادوات بدائيه تدفعها قوه الانسان او قوه الحيوان .

وكان الهدف الاساسي من الصناعه العائليه هو تحقيق مبدأ الكفاية الذاتيه بمعنى ان الانتاج في تلك المرحله كان يتم بقصد الاستهلاك المباشر او لمقايضته في سوق القرية ذاتها او في القرى المجاوره .

وبمرور الزمن تخصصت كل عائله في صناعه معينه فظهرت عائلات يشتغل كل افرادها بالنجاره او الحداده او صناع معينه وكان افراد العائله جميعا يشتركون في العمل تحت اشراف رب الاسرة الذي كان يمارس كافه السلطات ويتمتع بالطاعة والاحترام من جميع الاعضاء .

وكان تقسيم العمل اذا وجد يتم وفقا لاعتبارات بيولوجيه فقط كعامل الجنس او السن فكل من الرجل والمراه يقوم بالاعمال التي تتفق مع قواه الفيزيقيه كذلك الحال بالنسبه للشيوخ والشباب والأطفال .

وفي اوربا عرف نظام الصناعه العائليه منذ العصور القديمه وظل سائدا خلال العصور الوسطى اذ انه بعد قيام النظام الاقطاعي نشأ ما يعرف بنظام الضيعة المغلقه فكانت كل ضيعه تنتج كل ما يلزم لبقائها من مزروعات ومصنوعات وكان بعض سكان الضيعة يتخصصون في الصناعه اليدوية لإنتاج ما يلزم للسيد وحاشيته وكان الصناع يمتلكون ادوات الانتاج ويقومون بالعمل فلم يكن هناك فصل بين العمل وراس المال وكان العمل يعتمد على استخدام نفس الادوات البسيطة التي كانت معروفه منذ العصور القديمه .

السؤال الثاني : (بدا نظام الطوائف الحرفيه يفقد اهميته في اوروبا خلال القرن السادس عشر) اشرحي / اشرح العبارة السابقه بالتفصيل ؟

بدأت الطوائف الحرفيه في الظهور في اوربا خلال القرنين التاسع والعاشر وبلغت اوجها في القرن الثالث عشر واستمر بعضها قائما حتى القرن التاسع كما ان بقاياها لاتزال قائمه حتى وقتنا الحاضر .

وقد ارتبط ظهورها بانتعاش المدن القديمه ونشأه المدن الجديدة التي توافد عليها كثير من التجار والحرفيين الهاربين من ضياع الاشراف وقد اشتغل هؤلاء بالتجار والصناعة وأصبحوا يزودون سكان المناطق الريفيه بما يحتاجون اليه من مصنوعات ويحصلون منهم على المنتجات الغذائية والمواد الاوليه اللازمة للصناعة .

وحينما اشتد ظلم الاقطاعين التمس الناس الحماية منهم في تكوين الجماعات والانتماء اليها ولم تكن الطوائف **guilds** إلا واحده من بينها التمس الحرفيون في تكوينها الحماية وتنظيم الصناعه .

والطائفة في مفهومها العلمي (عبارة عن تنظيم يضم جميع العاملين في حرفه واحده كالنجارين والنساجين والحدادين وغيرهم) وهي بهذا المعنى تختلف عن النقابه العماليه التي ارتبط ظهورها بنظام المصنع الحديث من حيث ان الطائفة تضم اصحاب العمل والعمال على حين ان النقابه وبخاصة في المجتمعات الراسماليه ترعى مصالح العمال وحدهم وتدافع عن قضاياهم وتقف من اصحاب العمل موقفا معارضا لوجود تناقضات اساسيه بين اصحاب العمل والعمال .

ويتركب البناء الاجتماعي الداخلي للطائفه من ثلاثة انواع من الاعضاء وهم :

١- المعلمون .

٢- الصناع .

٣- الصبيان .

فالمعلمون هم الذين يديرون و يتحكمون في نظام الطائفة غير أن علاقتهم بعملية الانتاج تختلف إلى حد كبير عن علاقة المدير أو صاحب المشروع بعملية الانتاج في شكلها الحديث .

فلقد كان المعلم يمتلك محله أو ورشته و يستأجر الصناع الذين يشتغلون معه غير أنه لم يكن بالضرورة مالكاً للأدوات التى يعملون بها إذ كانت في غالب الاحيان ملكاً للصانع يحضرها معه إلى مكان العمل .

يضاف الى ذلك أن المعلم كان يعمل مع الصناع جنباً إلى جنب و كان يفترض فيه أن يكون أكثرهم مهارة وأوفرهم خبره و أعظمهم دراية بأصول الحرفة فهو لا يصل الى مركزه ولو من الناحية النظريه عن طريق استثماره لراس مال معين او بواسطة التعيين وإنما يتدر في سلم طويل من الكفاءة والخبرة وطوال المران .

اما الصبي فكان يدخل في خدمه المعلم وهو فتى صغير ويلتزم بقضاء فتره تدريبيه التي تتراوح في المعتاد بين ثلاث سنوات وسبع لدى المعلم الى ان يصبح صانعا ماهرا ولم يكن يسمح للصانع بان يترك معلمه إلا بعد الحصول على موافقة شيخ الحرفه وإلا اصبح من العسير عليه الحصول على عمل مناسب .

و كانت العلاقة بين المعلم و الصبى تتضمن حقوقاً وواجبات من كلا الطرفين :

فالمعلم كان يلتزم بتلقين الصبى أصول الحرفة حتى يتمكن في مستقبل حياته من أن يصبح صانعاً أو معلماً صاحب ورشة كما ك ان مسئولاً عن إيوائه و تربيته و تلقينه آداب السلوك مثلما يفعل الأب مع أبنائه تماما .

و كان الصبى من ناحيته يلتزم بجملة واجبات أهمها طاعة المعلم و ضبط النفس و الإخلاص و الأمانة و اتباع السلوك القويم و كان في كثير من الأحيان لا يقدم على أمر هام لم يخصه كالزواج إلا بعد الحصول على موافقة معلمه و هكذا كانت العلاقة بين المعلم و الصبى و علاقة شخصية وثيقة .

و حينما تنتهى فترة التدريب يصبح الصبى عاملاً باليومية و كان يلتزم بقضاء فترة معينة لدى المعلم ليعوضه عما بذله من جهد في تعليمه و تدريبه كما كان في بعض المناطق يعمل لتفرة من الوقت عاملاً متجولاً و ينتقل بين معلمين مختلفين ليكسب خبرات متنوعة و مهارات شتى و كان الأمل الذى يراود الصانع باستمرارهِ و أن يخلف معلمه أو يفتح ورشة خاصة به .

و من الناحية الوظيفية كانت الطائفة تقوم بكثير من الاختصاصات والمهام ، نذكر أهمها فيما يلي :

١- تحديد عدد الافراد الذين يستطيعون ان يزاولوا مهنه معينه والذين في المدينه كما كانت تحدد يكون لهم بالتالي حق فتح ورشه عدد المعلمين والصناع والصبيان الذين يمكن استخدامهم .

٢- تنظيم علاقات العمل بين المعلمين والصناع والصبيان وفض المنازعات التي تنشأ بينهم وكان ذلك يتم عن طريقه مجلس الطائفة الذي يتكون من الناحية النظريه من جميع افراد الطائفة وكان المجلس يجتمع مره كل سنه لوضع القواعد والتعليمات وتعيين الموظفين الذي يشرفون على تنفيذها وكانت تخول لهؤلاء الموظفين سلطه الفصل في المنازعات التي تنشأ بين اعضاء الطائفة .

٣ – تحددي أجور العاملين من أبناء الطائفة .

٤ – تحديد كمية السلع التي يمكن إنتاجها .

٥ – تحديد ما يعرض من السلع في الأسواق .

٦ – تحديد اسعار المنتجات .

٧ - تحديد الأرباح التى يحصل عليها المعلمون .

٨- التحكم في تكنولوجية العمل بمنع إدخال أي تجديدات في وسائل الإنتاج فكان من الممنوع إجراء أي تعديل في أدوات الصناعة او إدخال أي اختراع جديد لتحقيق المساواة بين المنتجين لكى لا يكون لأحدهم امتياز على الاخرين .

و لكى يتحقق إشراف رؤساء هذه الطوائف على الحرفيين بوسيلة فعالة كان معلمو الحرف يعملون في محلاتهم و أبوابها و نوافذها مفتوحة بل و يعملون في بعض الأحيان في الطريق و قد كان لك ل طائفة اختصاصها الذى يجب أن يلتزم بهِ جميع الاعضاء إلى درجة أن صناع الأحذية في فرنسا مثلاً لم يسمح لهم إلا بالقيام بصنع الاحذية الجديدة أما إصلاح الأحذية القديمة و الممزقة فكان ممنوعاً عليهم و لا يقوم به إلا المنتمون لطائفة الإسكافية كما كانت هذه الطوائف تنظم كل ظروف الصناعة تنظيماً دقيقاً محكماً إلى درجة أنها كانت تحدد طول و عرض الأحجار التى تستعمل في بناء المنازل و بهذا أصبحت الطوائف الحرفية تقف عقبة في سبيل التقدم التكنولوجي .

و تشير الدراسة التحليلية للعلاقات الاجتماعية في محيط العمل إلى أن التخصص و تقسيم العمل بالمفهوم الحديث لم يكن معروفاً في نظام الطوائف حيث كان الصانع يقوم بالعملية الإنتاجية بأكملها يضاف إلى ذلك أن أعضاء الحرفة كانوا يستخدمون الأدوات في عملية الإنتاج حيث إن الآلة في شكلها المتطور لم تكن قد عرفت بعد و قد ترتب على هذين العاملين عامل عدم تقسيم العملية الإنتاجية إلى جملة وحدات جزئية و عامل الصناعة اليدوية أن أصبح العمل في الطائفة بعيداً عن التخصص و الرتابة و الآلية .

و قد بدأ نظام الطوائف الحرفية يفقد أهميت ه في أوروبا خلال الق رن السادس عشر نتيجة لمجموعة من العوامل نذكر أهمها فيما يلي :

١ – بعد أن كانت الطائفة أشبه ما تكون بالعائلة المتكاملة التى يقوم بين أعضائها تآلف و ترابط و انسجام ظه رت التناقضات الداخلية بين المعلمين و الصناع .

و قد قوى تلك التناقضات و قوى المعلمين في وجه الصناع و اتخاذهم الإجراءات الكفيلة بمنعهم من الترقي في السلم الحرفي فكان ذلك سبباً في تذمر الصناع و انفصال بعضهم عن الطوائف التى ينتمون إليها و قيامهم بالعمل منفردين بعيداً عن رقابة الطائفة و ضوابطها و نتيجة لزيادة حدة الصراع بين المعلمين و الصناع بدأت السلطات المحلية تتدخل في المر لتفصل في المنازعات التى تنشأ بينهم بعد ان كان ذلك من اختصاص مجلس الطائفة .

و قد ادى ذلك إلى إضعاف سلطان الطائفة و فقدانها الكثير من استقلالها.

٢ – لقيت الطوائف كثيراً من المنافسة من جانب بعض الجماعات التى كانت تشتغل بالإنتاج الصناعي كالحرفيين الريفين و رهب ان الأديرة و الصناع المستقلين الذين لا ينتمون لأية طائفة و قد استعانت تلك الجماعات بسلطة الدولة لإضعاف نفوذ الطوائف و الحد من سلطانها و ظهر أثر ذلك فيما اتخذته الدولة و السلطات البلدية من إجراءات للضغط على الطوائف .

و من أهم تلك الإجراءات تخفيض رسوم قبول الصبيان في عداد الصناع و جعل الفصل في المنازعات التى تنشأ ب ين أعضاء الطائفة من اختصاص السلطة القضائية .

٣ – تجمعت الثروة بمضي الوقت في أيدى معلمين قلائل فاتجهوا إلى الصناع الذين لا ينتمون إلى طوائف معينة ليحققوا مزيداً من الأرباح كما انهم استغلوا نفوذهم في منع الأعضاء المعارضين من التصويت في مجلس الطائفة حتى يتسنى لهم اتخاذ القرارات التى تتمشى م ع صالحهم الخاص وترتب على تكدس الثروة في أيدى أفراد قلائل أن تحولت بعض الطوائف الحرفية إلى طوائف للتجار .

٤ – حينما اتسع نطاق السوق الخارجية زد الطلب على المنتجات الصناعية و أصبح من الضروري الحصول على مواد خام من الخارج .

و لما كانت الطوائف الحرفية بوضعها القائم آنذاك لا تقوى على القيام بهذة المهمة فقد انتهز التجار الفرصة و قاموا بشراء المواد الخام و توزيعها على الصناع في منازلهم ثم جمع الإنتاج و تصريفه في الأسواق و هكذا وضع الأساس لنظام إنتاجي جديد عرف باسم نظام الوسطاء انتقلت فيه السيطرة للممولين الذين أصبحت لهم الكلمة العليا في عمليات الانتاج والتوزيع .

٥- اعتمد الحرفيون في تصريف المنتجات و بيعها في الأسواق الخارجية على التجار الممولين و بعد أن كان الحرفي ينتج لمشترٍ محدد أصبح ينتج لحساب التاجر الذى يتولى تصريف منتجاته و توزيعها في الأسواق الداخلية و الخارجية و بذلك فقد الحرفي استقلاله و أصبح تابعاً للممول الذى زاد نفوذه و قوى مركزه الاقتصادي .